

رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْتَفِعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْأَعْقَابُ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْرِضُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنْى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّلَقَوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٢٢٣﴾ :

الأمة هي من الأم: القصد، فهي جماعة ذات قصد واحد، وقد تُطلق على الفرد الذي له همامة جماعة ذات قصد واحد، أم إمامة جماعة، وله

الهمة العالية التي تخلق أمة على منهجه ومنهم إبراهيم: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١).

وترى ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ هنا - بالنسبة للناس ككل - هي أمة الهداية، أنهم كلهم كانوا على هدى قبل بعث النبيين؟ وهذه مستحيلة في الذات نفسها، فإن مختلف الأهواء والرغبات الإنسانية هي أسس عوامل الاختلافات الشاسعة بين الناس! وحين لم تجمع الناس - ولن يجتمعوا - على هدى بدعوات الرسل، فكيف تجتمع - إذاً - دون دعوة رسالية!.

ثم إذا كان القصد من بعث النبيين القضاء على الخلافات الإنسانية، فما هي الحاجة إليهم وهم على هدى! رغم أن الرسالات جعلت الناس في شطري الهداية والضلالة: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ وأنهم جاؤوا لرفع خلافات دائبة بينهم: ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾! فما هي الهدى الواحدة بينهم؟!.

أم هي أمة الضلالة، أنهم كانوا ككل كفاراً؟ وتراهم كلهم بماذا كفروا ولم يبعث بعد نبيون حيث: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ...﴾! ثم وكيف يمكن الإجماع على ضلال الكفر لو كفروا بشرعة إلهية، وحملة الشرعة هم على هدى من ربهم، ولا يخلوا المرسل إليهم - لو كانت رسل - من استجابة ما للرسالات! وحتى قبل الدعوات الرسالية، ليس الناس كلهم كفاراً بمبدأ الفطرة والعقلية الإنسانية!.

فلم يكونوا - إذاً - لا مهتدين ولا كفاراً، بل «كانوا ضاللاً لا مؤمنين ولا كافرين ولا مشركين»^(٢) حيث الدعوات الرسالية هي التي تخلق هذه

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٠.

(٢) نور الثقلين ١: ٢٠٨ في تفسير العياشي عن يعقوب بن شعيب قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الآية فقال: كان الناس قبل نوح أمة واحدة فبد الله فأرسل الرسل قبل نوح، قلت: أعلى =

الأمم الثلاث، والبشرية قبلها ﴿أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ﴾ متماثلين في أصل الضلالة عن الهدى الرسالية، وهذا هو الذي يستتبع بينهم خلافات حسب مختلف الأهواء والرغبات ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ على كونهم أمة واحدة، في الضلالة عن هدى الوحي، مهما كانوا مهتدين برسل الفطر والعقول، فإنها لا تكفي هدىً لابقية لائقة بالإنسان بحيث تصبح الإنسانية أمة واحدة كاملة، إذاً فوحدة الأمة البشرية قبل بعث النبيين لا تعني عدم الاختلاف بأسره، بل وحدة في الضلالة عن هدى الوحي كما ولم يكونوا كافرين إذ لا وحي به يكفرون.

هذا! ولكن ما هو الجواب عن سؤال: متى كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين؟ وقد بزغت الإنسانية برسالة الوحي، فآدم الرسول هو أول إنسان من هذه السلسلة، ثم من ولده وأحفاده كيث وإدريس، وقد كان نبياً حسب النص ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾^(١) وكما تلمح آيات أو تصرح بأنبياء قبل نوح: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾^(٢)، ثم وكيف يجوز في حكمة الله ورحمته أن تظل البشرية رديحاً من الزمن أمة واحدة في ضلال ثم يبدو الله أن يبعث النبيين، فيحتجون - إذاً - على الله كما قال الله: ﴿وَرُسُلًا قَدْ فَصَّصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(١٦٤) رُسُلًا

= هدى كانوا أم على ضلالة؟ قال: كانوا على ضلالة قال: بل كانوا ضلالاً لا مؤمنين ولا كافرين ولا مشركين.

وفيه عن المجمع وروي عن الباقر عليه السلام أنه قال: كانوا قبل نوح أمة واحدة على فطرت الله لا مهتدين ولا ضلالاً فبعث الله النبيين.

(١) سورة مريم، الآية: ٥٦.

(٢) سورة مريم، الآية: ٥٨.

مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ (١) ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ (٢).

ذلك! وإلى آيات أخرى تنصّ على تحليق الرسالات الإلهية على الأمم كلها دون إبقاء: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ (٣) - ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ (٤) - ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ (٥) - ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (٦).

فمتى كان الناس - إذاً - أمة واحدة ضاللاً فبعث الله النبيين .!؟

قد تعني ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ للناس، وحدتهم في الضلالة: - لا على هدى كاملة ولا كافرين - إنهم كانوا في الفترة الرسولية بين آدم وإدريس، أم وبين إدريس ونوح عليه السلام، فلم يكن في تلك الفترة نبي صاحب كتاب شرعة ولا نبوة، وإنما دعوة رسالية لا رسولية في فترة بعيدة من الزمن جعلت الناس في الأكثرية الساحقة ضاللاً قاصرين بتقصيرهم في التحري عن الدعوة الرسالية الموجودة، مهما كان الوصول إليها والحصول عليها صعباً.

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾ أصحاب كتاب الشرعة الذي فيه تفاصيل زائدة على وحي الرسالة الخاصة بإرشاد الفطرة والعقلية الإنسانية إلى هدهما الخالصة.

(١) سورة النساء، الآيتان: ١٦٤، ١٦٥.

(٢) سورة طه، الآية: ١٣٤.

(٣) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٤) سورة يونس، الآية: ٤٧.

(٥) سورة الحج، الآية: ٦٧.

(٦) سورة فاطر، الآية: ٢٤.

فقد كانت في مثل هذه الرسالة كفاية للإنسان البدائي، دون حاجة ماسة
ضرورية إلى تفاصيل أحكام النبوة المذكورة في كتابات النبوات.

فالأنبياء هم أصحاب كتابات الوحي الحاملة للشرعة الأحكامية زيادة
على الرسالة الفطرية والعقلية، وليس الرسل كلهم يحملونها، كما ويُذكر
النيون مع الكتاب دون الرسل إلا النيون منهم.

إذاً فلم تمض على البشرية زمن الفترة الرسالية ﴿لَّئَلَا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ
حُجَّةٌ﴾^(١) بل هي إما فترة رسولية، أم فترة الأنبياء أو والنبوات، كما
الآخيرة كانت بين المسيح ومحمد صلوات الله عليهما: ﴿لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا
أَتَتْهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ...﴾^(٢) - ﴿لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤَهُمْ فَهُمْ
عَافُونَ﴾^(٣).

ولئن سأل سائل هل كان النيون قبل نوح - وهم أصحاب كُتب - كانوا
من أولي العزم؟ وهم خمسة! أم لا؟ فكيف كانت لهم شرائع مستقلة مهما
كانت لواحد منهم كإدريس! قلنا: النبوة مهما استلزمت كتاب الوحي ولكنها
كتاب أكمل من كتاب الرسالة وهما مشتركان في عدم حمل شرعة سوى
تدليل العقل والفطرة، أم أن العزم بكامله ليس إلا في الخمسة.

وقد تعني ﴿كَانَ﴾ فيما عنت كوناً منسلخاً عن الزمان، ناظراً - فقط -
إلى كيان الإنسان، أنه ﴿أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ﴾ في الضلال - وعلى طول خط الحياة
بخطوطها وخيوطها - ما لم يهتد بوحى النبوات الربانية، فلا تكفيه الفطرة
والعقلية الإنسانية لإخراجه عن متاهة الضلالة وتيه الغواية، كيف ولم يخرج

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

(٢) سورة القصص، الآية: ٤٦.

(٣) سورة يس، الآية: ٦.

عنها تماماً على ضوء الدعوات الرسالية، ففريق لم يؤمنوا، وفريق آمنوا ثم تفرقوا واختلفوا في الشريعة نفسها التي هي عامل الوحدة.

ثم الاختلاف اثنان، اختلاف قبل النبوات هو طبيعة الحال القاصرة، فطرة بعصمتها الإجمالية، وعقلية خاطئة غير معصومة، واختلاف بعد النبوات بين حَمَلَة الشرائع بعد النبيين، وبين المحمول إليهم من جرّاء خلافتهم في كل شريعة شريعة.

هذا، كما ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾^(١) قد تنظر إلى الاختلاف الثاني وهو في الدين، بعد الاختلاف الأول الذي اقتضى بعث النبيين.

كما وآيتنا تصرح بهذين الاختلافين فالأول هو المستفاد من: ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ اختلافاً على وحدتهم في أمة الضلالة، فالهدف الأقصى والأسمى من بعث الله النبيين هو الحكم بين الناس المختلفين في أهوائهم ورغباتهم، والثاني يستفاد من: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾ - أي في كتاب النبوة - ﴿إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ علماء وجهالاً، حيث تذرّعوا بعامل الوحدة لبث الاختلاف فيما هو الداعي إلى الوحدة، كما اختلفوا في القرآن في أبعاد آخرها الرجوع إليه كأصل ورأس للزاوية.

فهناك قبل إنزال الكتاب، أم قبل النظر الممهدي إلى الكتاب، اختلاف أول هو طبيعة الحال، قضية مختلف الأهواء والرغبات من ناحية، وقصور الفطر والعقول من أخرى.

ثم هنا اختلاف ثان هو في الكتاب، اختلافاً في تصديقه، فمنهم من آمن ومنهم من كفر، واختلافاً آخر بعد تصديقه، تناقلاً عليه دون انتقال إلى الشريعة التالية، كاليهود المتناقلين على شرعتهم تكذيباً للمسيح، والمسيحيين

(١) سورة يونس، الآية: ١٩.

المتشاقلين على شرعتهم تكذيباً للقرآن، أم اختلافاً في الكتاب في حقله نفسه، إرجاعاً إليه كأصل، أم تركاً له إلى روايات وأقاويل لا أصل لها، ثم اختلافاً في الإرجاع، تحميلاً عليه آراء زينوها وراء الكتاب، أم رجوعاً إليه كما هو، تفسيراً بنفسه.

﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ فالذين أوتوه هنا - بطبيعة الحال - هم علماء الكتاب، لا الموحى إليهم إذ لا اختلاف بينهم ولا بغى، ولا الناس الجهال حيث لم يؤتوا إلا تكليفاً به ببيان علماء الكتاب.

فقد حملهم البغي بينهم على الاختلاف فيه، بين تكذيب واختلاف وإرجاع إلى غيره، ثالث يجمعه إهمال الكتاب عن أصالته في حقل الشريعة الإلهية.

والاختلاف في الكتاب: الشريعة - أصلاً وفرعاً - قد يكون بغياً وتقصيراً، وهو المندد به هنا وفي سواه، وأخرى قصوراً، ثم القصور قد يكون من مخلفات التقصير من القاصرين أو الذين سبقوهم، أم هو قصور مطلق مطبق، ولا يُعذر إلا الآخرون، ولو روعي الكتاب كأصل في كل فرع وأصل، لا سيما بتشاور في تفهمه، لقلت الخلافات في الكتاب.

وإنما تنشأ الاختلافات الكثيرة في الكتاب من عدم الرجوع إلى الكتاب كما هو حقه، وعدم التأمل فيه حقه، ومن هنا تقبل الفتن على أهل الكتاب ثم لا تزول إلا بالرجوع إلى الكتاب حقه وكما يروى عن النبي ﷺ: «إذا أقبلت عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنه حبل الله المتين وسببه الأمين لا يعوجُّ فيُقام ولا يزيغ فيستتب من جعله خلفه ساقه إلى النار ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة».

والهدى الإلهية للذين آمنوا لما اختلفوا: - الذين أوتوه بغياً بينهم - ليست إلا على ضوء الإيمان بالكتاب، والرجوع إليه كرأس الزاوية في شريعة

الله، والعمل به وتطبيقه، فهنا يأتيه الهدى الفرقان: ﴿إِنْ تَنَقَّوْا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا...﴾.

وقد أمر الله بالوحدة على ضوء كتاب الشريعة وندد بالمختلفين: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾^(١) ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾^(٢) ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾^(٣) ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصِّلُ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾^(٤).

ولقد أخذ حملة القرآن الذين حُمِّلوه يختلفون فيه لحدِّ أخذوا يبحثون عن تحريفه وصيانتة، وعن حجية ظاهرة أم عدمها، وعن الإفتاء بنصه أو ظاهره إذا خالف شهرة أو إجماعاً أو روايات، وإلى أن ألغوه عن بكرته سناداً إلى أنه لا يفهم منه مراده، أم خوفاً من الانزلاق في تفسيره بالرأي، وما أشبه ذلك من عوامل إبعاده عن حوزاته، وإقلاعه عن روضاته، وهنا يتجلى شكاة الرسول: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾^(٥).

وفي خِصْمِ الخلافات في كتاب الشريعة، بادئة من حملتها ومنتهاية إلى سائر المكلفين ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ﴾ وكما وعد الله: ﴿إِنْ تَنَقَّوْا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾^(٦) فالإيمان الصالح غير الدخيل ولا المصلحي التجاري، إنه أساس الفرقان عند اختلاف الناس في كتاب

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٥.

(٣) سورة النحل، الآية: ٦٤.

(٤) سورة النمل، الآية: ٧٦.

(٥) سورة الفرقان، الآية: ٣٠.

(٦) سورة الأنفال، الآية: ٢٩.

الهدى، حملة ومحمولاً إليهم ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: من يشاء الله وهو من يشاء هدىً بعد هدى في الفتن الدينية العارمة التي تجعل من العلماء جهالاً فضلاً عن الجاهل إلا من هدى الله بهداه الصالحة المعبر عنها هنا بـ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، فلا يخلو أي مكلف في أي عصر أو مصر عن هدى ربانية في مثلثها، فطرية وعقلية، وعلى ضوئها هدى شرعية، مهما كانت شريعة أولي العزم، أما دونها كما كانت بين آدم ونوح عليهما السلام.

ففي زمن الفترة الرسولية لا تجد فترة رسالية، حيث الشريعة السابقة محكّمة فيها مهما صعب الوصول إليها والحصول عليها، فإن «أفضل الأعمال أحمرها».

وقد تعني ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ فيما عنت أنهم كانوا ضاللاً لروح من الزمن، وقد يكون بين آدم وإدريس عليهما السلام فإن إدريس أول النبيين وما كان آدم إلا رسولاً، ومن ثم نوح ومن بعده من أولي العزم وسائر النبيين^(١)، حيث النبوة هي الرفعة فهم - إذاً - أولو الرفعة والمنزلة بين المرسلين، ومن ميّزاتهم أن لهم كتباً: ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ...﴾.

ولقد بزغت النبوة القوية بولاية العزم من نوح عليه السلام كما دلّت عليه

(١) نور الثقلين ١: ٢٠٨ في تفسير العياشي عن مسعدة عن أبي عبد الله عليه السلام في الآية فقال كان ذلك قبل نوح، قيل: فعلى هدى كانوا؟ قال: لا كانوا ضاللاً وذلك بأنه لما انقرض آدم عليه السلام وصالح ذريته بقي شيث وصيه لا يقدر على إظهار دين الله الذي كان عليه آدم وصالح ذريته وذلك أن قابيل توّعه بالقتل كما قتل أخاه هابيل فسار فيهم بالثقية والكتمان فازدادوا كل يوم ضلالاً حتى لم يبق على الأرض معهم إلا من هو سلف ولحق الوصي بجزيرة في البحر يعبد الله فبدا الله تبارك وتعالى أن يبعث الرسل ولو سئل هؤلاء الجاهل لقالوا قد فرغ من الأمر فكذبوا إنما هو شيء يحكم به الله في كل عام... قلت افضلال كانوا قبل النبيين أم على هدى؟ قال: لم يكونوا على هدى كانوا على فطرة الله التي فطرهم عليها لا تبدل لخلق الله ولم يكونوا ليهتدوا حتى يهديهم الله أما تسمع يقول إبراهيم: ﴿لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ [الأنعام: ٧٧] أي ناسياً للميثاق.

آيات، فهم حملة الشرائع المستقلة، فلم يكن أحد من النبيين سواهم - فضلاً عن المرسلين - أصحاب شرائع مستقلة، وقد شرحنا في سورة نوح^(١) وجهة الشرعة الإلهية قبل نوح ﷺ .

وقد تشبه هذه الأمة الواحدة قبل نوح، الأمة الواحدة قبل محمد ﷺ زمن الفترة بينه وبين المسيح، مهما اختلفت فترة عن فترة وضلال عن ضلال.

ولقد كانت النبوات المصحوبة بكتابات الوحي، ولا سيما لأولي العزم، هي محاور الدعوات الربانية، والنيبون هم أقل من المرسلين بكثير، فكل نبي لا بدّ وهو رسول وليس كل رسول نبياً.

ذلك، ولقد بحثنا في طيات الفرقان حول الرسالات والنبوات وتحليتها على كل الأمم على ضوء آياتها فلا نعيد.

﴿... فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اُخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ﴾ ومنهم الأمة المهتدية الإسلامية حيث هداهم الله لما اختلفوا - هؤلاء الكتابيون - من الحق، إذ أوتوا القرآن المهمين على كل ما سبق، وكما يروى عن حامل لواء الحق: «نحن الأولون والآخرون، الأولون يوم القيامة وأول الناس دخولاً الجنة يبدّ أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله فالناس لنا فيه تبعٌ فغدٌ لليهود وبعد غدٍ للنصارى»^(٢).

فالذين آمنوا ملحدين أو مشركين أم هوداً أو نصارى، آمنوا بشرعة الإسلام المتمثلة في القرآن، فهم المهديون لما اختلفوا من الحق بإذنه، حيث القرآن هو ميزان الحق.

(١) ج ٢٩ الفرقان ص ١٤٥ حيث تحدثنا فيها حول أولي الشرائع الإلهية المستقلة.

(٢) الدر المنثور ١: ٢٤٢ - أخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي هريرة في الآية قال قال النبي ﷺ : ...